الشخصية وبناء الحدث في (روايات محمد الأحمد)

الكلمات المفتاحية : الشخصية الروائية ،بناء الحدث، محمد الاحمد

حسن دحام عزيز
جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية
Altmymyhsn224@gmail.com

ا٠م٠د٠ جاسم محمد حسين
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Jassim80_sat@yahoo.com

الملخص

إن الشخصية الروائية لا تظهر في النص السردي بمفردها ، أو بمعزل عن العناصر السردية الأخرى ، بل تشكل معها ارتباطاً وتماسكاً وثيقاً ، فلا يمكن أن نجد النص السردي مقتصراً على الشخصيات من دون ما يكون دور لباقي العناصر السردية في أتمام النص السردي بجوانبه كافة ، إذ يُعد خلل فني يصيب النص الروائي بالشلل أذا ما غُيِبت إحدى عناصره الأساسية في حال كان ظهورها إلزاميا في النص ، إن أية رواية هي سرد لسياق من الحوادث التي تشتمل على جميع العناصر السردية مثل الشخصيات ، والبيئة الزمانية والمكانية والفكرة واللغة وغيرها من العناصر الأخرى التي تشكل النص الروائي الذي يصف الفعل أو سياق الأحداث والوقائع التي تمر بها الشخصيات.

المقدمة

والحمد لله حمد الشاكرين الذاكرين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد الأمين وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتحبين .

إن للشخصية الروائية علاقة وثيقة ببناء الحدث ، وان ارتباطهما هو ترابط عضوي ، فلا يمكننا إن نتصور وجود شخصية في الرواية بدون حدث ولا حدث دونما شخصية ؛ لان الشخصية الروائية هي من تصنع الحدث في أي عمل روائي ، إذ يمكن القول بأن الشخصية هي القوة المولدة للأحداث التي تؤثر فيها وتتأثر بها . وهذا يبين التلازم بين الشخصية والحدث ، إذ من غير الممكن سرد أحداث بلا شخصيات تناسبها ، ولا يمكن تقديم الشخصيات الروائية إلا من خلال مواقف وأحداث ، فالشخصيات تربطُ باقي عناصر الرواية ببعضها البعض[١] ، ((وأي خلل في بناء الشخصية والحدث النابع عنها فإنه يخل ببنية

الرواية ، ويحط من فنيتها التي لا يمكن أن تتحقق إلا بترابط وانسجام ، بحيث يمهد كل حدث للحدث الذي يليه حتى تنتهي الرواية بشكل مقنع للقارئ الذي يمارس الدور الثاني بعد المؤلف بصفته قارئاً ومبدعاً ينفر من تشتت الأحداث وفوضاها))[٢]

إن الحدث في الأعمال الروائية يمثل مجموعة من والوقائع التي تكون مرتبة ترتيباً سببياً تتمركز وتدور حول موضوع الرواية العام ، إذ تقوم الأحداث بتصوير الشخصيات والكشف عن أبعادها وتصوراتها أثناء قيامها بعمل له معنى في داخل النص الروائي، وكذلك يتم الكشف عن الصراع بين الشخصيات في العمل الروائي من خلال الأحداث ، فالشخصيات هي المحور الأساس الذي تربط به باقي عناصر السرد ارتباطاً وثيقاً داخل الرواية فهي لا تقل أهمية عن الحدث ، إذ من الصعب جدا دراسة أهمية الشخصية الروائية بمعزل عن الحدث ، والسبب بسيط لان كلاهما مكملا للآخر ومرتبطا به بعلاقة وثيقة وأي محاولة لفك هذا الارتباط الحاصل بينهما تؤدي إلى خلل واضطراب في النص الروائي ، فمن غير الممكن عند البحث عن الشخصية الروائية أن ننحي الحدث جانباً ، لان الحدث هو الذي يبين حركة الشخصية ونموها ويبين مستواها ويحدد علاقتها بما يجري من حولها ، وكذلك يبين وعي الشخصية بالواقع الروائي الذي تعيشه وتدور حوله مجمل الأحداث في الفكرة العامة لأي عمل روائي[٣].

إن الشخصية هي التي تقدم الحدث وهي في كثير من الأعمال السردية هي التي تتولى عن المؤلف رواية الأحداث إذا ما تحدثت بضمير المتكلم أما الأحداث التي ترويها الشخصية في بعض أطوارها مركبة من عناصر مختلفة كاللغة والزمان والمكان ، وهذه العناصر هي التي تشكل النص السردي الذي ترويه هذه الشخصيات، بشكل غير مباشر ، أو ما يقدمه الروائي بشكل غير مباشر أيضا ، وذلك حين يصطنع ، ضمير الغائب مثلا [٤]، وهذا ما يبين لنا العلاقة الوثيقة بين الشخصيات والحدث لأنهما من المكونات الأساسية في النص السردي ، إذ يمكننا القول بأنهما العنصران اللذان لا يفترقان .

نلحظ في رواية " حركة الحيطان المتراصة " ، ترابط الشخصية بالحدث لأنه نتاج الأعمال السابقة للشخصيات وسببا في أنتاج أحداث لاحقة ، إذ انه يمثل عمل شخصية ما ، وهذا العمل يُحدد من زاوية دلالته في داخل النص الروائي ، وهذا يعني أن سياق بناء النص الروائي يعتمد المؤثرات بصورة عامة سواء كانت هذه المؤثرات سلبية أم ايجابية التي تصدر

من فعل الشخصية[٥] . فنتتبع الصراع الحاصل بين بعض شخصيات رواية " حركة الحيطان المتراصة " وما ينتج من أحداث جراء ذلك الصراع ومن خلال تحركات هذه الشخصيات في حيزها الروائي ، ((تلك المرأة الـ ...:

كانت تقدم لي مزيجا مذوبا من الفاليوم ، والآرتين في الشاي ، والطعام .. تقدمه لي بشكل منظم

في كل وقت . غايتها كانت واضحة ، اعترفت بأنها تعد لي منهجا كي تهزمني به . كانت بخبرة القانون تود ذلك))[٦]، فالراوي بضمير المتكلم يروي ما فعلته به تلك المرأة – زوجته – وما تبعه من أحداث متتالية بسبب فعلها ،((نقلتني من النجاح إلى الفشل وتوجتني على فراغ من الأكاذيب))[٧]، فالراوي نسج جيدا واقعة الحدث ، و أوجد لها الحضور الزمكاني، والشخصيات المشاركة معه بالحدث وهذا ما انعكس على تشخصيه الجيد للحدث بالإضافة إلى انه أضاف لمقطعة السردي زخم في تأطير الحدث بالإطار الزمكاني وهذا ما يعطي بعدا ذهنيا وفكريا لدى القارئ في أدراك الحدث ووضوحه من خلال الفهم الجيد في تتبع المقاطع السردية واحدا تلوه الآخر من اجل إتمام صورة الحدث من خلال حركة هذه الشخصيات في الإطار المرسوم لها،((في التوقيف فكرت كثيرا في تلك المرأة الـ ... لأني هناك استمعت قصة احد الموقوفين الذي قتل زوجته الطليقة لأنها طعنته في رجولته ... في التوقيف فكرت كثيرا في تلك المرأة الـ ... لأني استمعت إلى احد قتل زوجته لأنها ورطته مع عشيقها بتهم لا تصدق))[٨].

إن علاقة الترابط بين الشخصيات الروائية والحدث تدفع الحدث على استحواذ اهتمام القارئ بتعقيد ذلك الحدث وصولا إلى حله ، حتى وان رُسِمت الشخصيات الروائية بدقة اقل من المطلوب ، فأن الترابط بينهما يدفع بالأحداث إلى أن تزج الشخصيات في أعمال تساعد على تعقيد الحدث في النص الروائي ، وان كان العنصرانِ من العناصر الرئيسة في العمل السردي لكن تأتي استجابة الشخصيات في بعض الأحيان للأحداث بشكل عرضي وهذا ما يخدم الحبكة في أي عمل روائي ، إذ تكون الشخصيات وقدراتها بوجه عام بالمقدار الذي يتطلبه الحدث منها[٩]، فإذا نُسِجَت الأحداث بشكل جيد تخلقُ المتعة لدى المتلقي وتأتي هذه من خلال تصوير الأحداث وقربها من الواقع الحي ويأتي تعليل هذا الأمر بما يتعلق بنفسية المتلقي وثقافته ،إذ يمكن للرواية التي تتميز بقدرة تصوير أحدثها بشكل جيد على تفاعل

القارئ معها ،إذ من الممكن لحدث صغير يقدم نتائج كبيرة غير متوقعة ، فتتفرع وسرعان ما تنسج نسيجا معقدا يُحلُ بعد ذلك بطريقة غاية في الإبداع والبراعة [١٠] .

تأتي رواية " حركة الحيطان المتراصة " مقسمة إلى عشرين فصل تُسرَدُ الأحداث في كل فصل منها وفق نسق التتابع ، إذ يقدم الراوي روايته جزء بعد الآخر دون أن يكون بين هذه الأجزاء شيئا من قصة أخرى ، ففي هذا النسق السردي للأحداث نجد وضوح علاقة الشخصية بالحدث لأنه أكثر انساق بناء الحدث بساطة وأكثرها شيوعا وأقربها لفهم القارئ[١١]، واستكمالا لما تناولناها من احد أهم فصول هذه الرواية ،وهي قصة تلك " المرأة " مع زوجها إذ جاءت الأحداث متسلسلة منذ بدء الحدث وصولا إلى العقدة ثم الحل ،((تلك المرأة ... نجحت بإعلان فشلي . ولكني لن اقبل إلا بعد أن اطمأن إلى امرأة غيرها ... رغم كل شيء أنا الفائز ... ما زلت املك زمام الساحة وما يجري عليها تحت بصري))[١٢]، إذ نرى فيها الأحداث موقوتة بدقة فهي جاءت من اجل تناسب خطة هذا الفصل ضمن الخطة العامة للرواية كلها ونحن لم نرى فيها منطق الحدث فحسب بل رأينا نسجا منظماً دقيقاً مع باقي عناصر السرد ، في ترتيب كل شي وفق ما يتناسب مع رؤى الشخصيات وأهمية الحدث[١٣].

من القرن التاسع عشر وصولا إلى وقتنا الحاضر أخذت الشخصية مكانا بارزا في الفن الروائي، إذ أصبح وجودها مستقلا عن الحدث بعد أن تم فك ارتباط تبعيتها للحدث ، بل أصبحت الأحداث نفسها هي مبنية أساساً لإمداد القارئ بمريد من المعرفة بالشخصيات أو لتقديم شخصيات أخرى من خلال سرد الحدث نفسه[١٤].

وفي رواية " دَمُهُ " ، نحاول أيضا تسليط الضوء على علاقة الشخصية بالحدث ، فمن الواضح أن أفعال الشخصيات وحركتها هي التي تسهم في بناء الحدث وديمومته ، كما هو الحال في الحدث أيضا ، الذي بدوره يشارك في تطوير الشخصيات الروائية وإيضاح صورتها من خلال الأدوار التي تقوم بها تلك الشخصيات ، والتي تمر بمراحل بغية الوصول إلى الهدف الذي رُسِمَت من اجله ، وهذا تأكيد للدور الذي يقوم به الحدث في تحديد الفعالية السردية للشخصية الروائية ، فهما عنصران أساسيان في أي نص سردي ولا يفترقان أبدا ومن الخطأ التفريق بينهما لان الحدث كما يقول بعض النقاد هو الشخصية حين تعمل ، إذ يمكن القول أن أي تطور يطرأ على بناء الشخصية يكون الحدث هو السبب الرئيسي في ذلك ، وبالمقابل فأن أي تطور يطرأ على بنية الحدث ينعكس على الشخصيات ويؤثر فيها[١٥].

يمكننا التركيز على الحدث الأهم في رواية " دَمُهُ " وهو مقتل المعلم الفاضل " الجعد بن درهم" على يد والي الكوفة " خالد بن عبد الله ألقسري " في يوم ١٠ ذي الحجة لسنة ١١٩هـ في مدة حكم خلافة الخليفة الأموي " هشام بن عبد الملك "، لان هذا الحدث هو الذي يمثل الفكرة العامة للرواية وان الأحداث الجانبية التي نشأت في الرواية جاءت أما لدعم الحدث الأساس ، أو لتصوير واقع الكوفة ، وبلاد الشام في ذلك الوقت ، فمن خلال دراستنا للشخصيات الروائية في هذه الرواية والتعرف على فعلها وحركتا في حيزها الروائي وما قامت به من فعل أنتج حدثا كشف لنا أبعاد هذه الشخصيات وطرائق تفكيرها من خلال ما ينتج عنها من فعل وتصرفات، فشخصية الوالي كانت يمكن القول أن الاضطراب ظهر جلياً عليها ((فما مرّ بظرف صعب مثله . حتى قرر أن يلجأ إلى الحلم والحيلة ، ودعا مع نفسه ألف دعاء أن تمر عليه ليلة العيد بسلام . بعد أن كبر الجامع بالصلاة معلناً الاحتفال بيوم غد أول أيام عيد الأضحى))[١٦]، إن بنية حدث مقتل " جعدة بن درهم" كشفت عن طبيعة صعوبة الحدث في حد ذاته ، ومن ثم الكشف عن العلاقة التي ربطت عناصر الخطاب الروائي من شخصيات وبيئة زمانية أو مكانية بالحدث ، إذ أن التوقيت الذي اختاره الوالي لتنفيذ حكم الإعدام بحق الضحية كان غير مناسب ولا المكان الذي ينفذ فيه الحكم مناسب لهذا العمل ، مما جعل الوالي يفكرا كثيرا ويصاب بالاضطراب فالقرار صعب أضف إلى ذلك بأنه لم يكن مقتنعا بالعقوبة التي فرضت على " جعدة بن درهم " من خلال أشارة الخليفة له التي كانت حاسمة وقطعية ((أما زال حياً ؟!..)) [١٧]، فما كان على الوالي إلى أن ينفذ أمر الخليفة فقال : ((قضي أمره))[١٨]، إذ شكل هذا الحدث العمود الفقري في رواية " دَمُهُ " لان الروائي اختار هذا الحدث بعناية فائقة جدا، فهو يتحدث عن واقعة حقيقة وقعت فعلا وعن شخصيات حقيقة ، إذ قام الروائي بسحب الواقعة من نصوص التاريخ وتحويلها إلى عمل روائي.

أن الشخصيات الروائية تمثل إحدى أهم مكونات الخطاب الروائي فهي العنصر الفعال الذي يحرك عجلة السرد من خلال تحريكها للأفعال فمن الممكن أن تكون دالة على مرحلة اجتماعية، أو تاريخية، أو فعلا سياسيا في حقبة زمنية محددة كما حدث في رواية " دَمُهُ " ، فشخصية "الوالي" من خلال أفعالها أنتجت حدثا مرتبطا بعلاقة من هذه الشخصية ، ((حيث اتخذ إجراءات دقيقة . بأن طلب من شقيقه الحضور، ويشيع على من معه بأنه سوف

يطلق سراح الأسير أثناء العيد . جعلهم يبلغوه في قفصه ، أنهم في حالة انتظار أمرٍ بحق المعلم الجليل يجيء من الشام، ويطلق سراحه))[١٩]، إن شخصية " الوالي " هي الصانع الرئيسي لهذا الحدث ، إذ جاءت هذه الشخصية منذ البداية متأثرة بموقعها الاجتماعي والسياسي وهذا ما جعلها قادرة على صنع الحدث الذي بدوره ولدَّ مجموعة من المواقف التي تتناسب والطارئ الذي قد يحصل جراء فعل هذا الحدث ، فشخصية " الوالي " تميزت بقدرتها على صنع الحدث و التمهيد لبعض الأحداث الثانوية التي تأتي متسلسلة مرتبطة بالحدث الأساس .

فالأحداث هي كذلك تُقسَمُ إلى نوعين : أحداث رئيسة وهي التي تنطلق منها الفكرة الأساس في الرواية وحذفها يصيب الرواية بخلل فني لا يمكن سده بأي حال من الأحوال إذ لا يمكن الاستغناء عنها فهي كالشخصيات الرئيسة في النص الروائي إذا حذفت أحدثت خللاً ، أما النوع الأخرى من الأحداث هي الثانوية ، التي يمكن الاستغناء عنها دون أن يؤدي ذلك إلى إيجاد خلل في الرواية . فهذه الأحداث الثانوية لا تكمن أهميتها في ذاتها وإنما بما تؤديه من خدمة في تقديم الشخصيات أو توسيع الرؤية السردية من خلال دعم بناء الحدث الرئيس، وهذا طبيعي لان كل رواية تتكون من حدث رئيس وأخرى ثانوية تدعم أو تساهم في بناء ذلك الحدث وديمومته في نسيج روائي متكامل[٢٠].

إن " الوالي " اتخذ تدابير قبل قيامه بتنفيذ خطته بحق " جعدة بن درهم " ، فهو يبيتُ شيء ويظهر شيء آخر للناس، فقام بتوجيه ((إشارة إلى أخيه من أبيه الذي أنشأ له جهاز الشرطة... أن ينشر إشاعة إطلاق السجناء بعفو أميري ، وأرسل مجددا في طلب القضاة الثلاثة لتدوين ورقة بحكم أمير المؤمنين بشان المعلم الأسير))[٢١]، فإرساله بطلب " للقضاة الثلاثة " هو لإضفاء الشرعية على الفعل الذي سيقدم عليه ، لأنهم من نقل إشارة الخليفة الأموي " هشام بن عبد الملك " لعامله على الكوفة فكانت تلك الإشارة حتمية وقاطعة لكل تأويل فيه خلاص " جعدة بن درهم " من الموت ، ((أما زال حياً ؟!..))[٢٢]، إذ لا نقاش فيها وتحمل في طياتها عتب شديد اللهجة من الخليفة إلى الوالي الذي من الممكن أن يكون قد تهاون بقمع معرضي الخليفة لأن هؤلاء حسب رائيهم يهددون أركان دولة الخلافة الأموية .

إن أهم أشكال السرد من حيث الأحداث والحبكة هي التي تقتضي أن تكون الأحداث التي تقوم بها الشخصيات منسجمة ومتوافقة مع طبيعة ونفسية تلك الشخصيات ، ولأجل هذا

الغرض فان اغلب الأعمال الروائية نجدها تعطي بعض الصفات السيكولوجية والطبائعية لشخصياتها مما جعلها تكتسب تماسكاً سيكولوجيا لم يكن متاحا في الأعمال الروائية القديمة ، وهذا مهم في جعل علاقة مترابطة بين الشخصية والحدث مبنية على أساس التكامل في النص السردي لا على أساس تبعية الشخصية للحدث كما كانت قديما لان الشخصية الروائية في الروايات ما بعد الكلاسيكية تجسدت فيها جوهرا سيكولوجيا مستقلا عن العناصر الأخرى تربطه معها علاقات وثيقة [٢٣].

في صبيحة يوم ١٠ذي الحجة لسنة ١١٩هـ ((دخل الوالي بصحبة السجين إلى المسجد بابتسامة ، ثم بدأ بركعتين تحية للمسجد بعدها ابتدأت الصلاة امتلأت بتسوية الصفوف . كان المسجد ممتلئاً بالمصلين القادمين من كل حدب وصوب))[٢٤]، استكمالا للخطة التي وضعها " الوالي " لإتمام الحدث الأهم وهو قتل " المربي الفاضل " استعمل حيلةً لإيهام الناس بتصديق الإشاعة التي أطلقها أخيه من أبيه بأن الأمير اصدر امرأ بإخلاء سبيل السجناء بمناسبة العيد ، فجاءت هيئة " الوالي " عند دخوله للمسجد متطابقة مع ما أشيع عن أمر العفو الذي منحه للسجناء ، فالابتسامة في بعض الأحيان لا تتم عن فرح أو سعادة فقد تخفي شيء لا يمكن قراءته أو التنبؤ به بسهولة ، فـ ((لم تضل أي نأمة أو إشارة يفهم منها شقيقه شيئاً ، بقي الوالي منشغلاً في صلاته ، يسجد لله تعالى الركعتين المقررتين ، ولكنه أضاف إليهما ركعة ثالثة إكراماً لغاية في نفسه ، كان يصلي والبسمة تعلو وجهه كأنه فرحٌ بمقدم العيد))[٢٥]، استطاع " الوالي " بفطنته وذكاؤه من إيهام اقرب الناس إليه ممن يعرفون بأنه سيقتل " المعلم الفاضل " في هذا اليوم لا محالة .

إن الحدث من مكونات السرد الأساسية ، وأهميته بما يفعله من تغيير للحالة وجريان في الزمن فهو دائما يؤدي إلى تغيير أمر وخلق حركة أو إنتاج شيء ومن الممكن بوصف الحدث في الرواية بأنه لعبة قوى متواجهة أو متحالفة ، إذ تنطوي على أجزاء تشكل بدورها حالات محالفة أو مواجهة بين الشخصيات لان كل حدث يقتضي شخصية تقوم[٢٦]، فشخصية " الوالي " هي جاءت لتناسب فعل هذا الحدث . " فالوالي " ((فاجأ الجميع أنه مازال يربط " المعلم الجليل " ، ولم يأمر في حلّ وثاقه ، وكأنما من كان عند أسفل المنبر قد زاد له شدّ وثاقه ، بحبل سميك ، أربع لفات حول ساعديه وشدّه مسبلاً كفيه إلى أسفل))[٢٧]، فهذا الفعل لا يتناسب مع ما تم إشاعته من قبل حاشية " الوالي " وخاصته فـ ((بعض الناس كان في

ريبة من أمره ، وأغلب الذين في الصف الأول تماسكوا في وقفتهم كأنهم يتوقعون فعله مصيرية سوف يقوم بها " الوالي"))[٢٨]، " الوالي كسر أفق التوقع لدى جمهور الحاضرين لداء صلاة العيد فهو لم يف بما وعد به ، ولم تكن لهيئته المبتسمة في شيء يتناسب مع الحال الذي كان عليه " المعلم الفاضل" فأن طريقة وثاقه لا تدل على انه سيطلق سراحه ، إذ كان مكتوفا في إطرافه العلوية ،((محرر القدمين ، فساعدته قدماه على صعود درجات المنبر السبع ، الذي بات مرتفعا حتى يراه أغلب الناس من أبعد زوايا المسجد. وما أن سحب نصله تبادر لذهني نيته قطع الحبل ،هللت متنفساً داعيا الله الترفق به))[٢٩]، كان يظن بعض الحاضرين انه سيقطع الحبل الذي ربط فيه " المعلم الفاضل " عندما سل سيفه من غمده ، لكن ما حصل أن " الوالي " ((بادر بجرة واحدة ، واضعاً نصله على رقبة المعلم ، وساحبا إليه النصل تاركا الرأس تسقط دون أن تسقط عنه عمّتهُ ، حيث بقي الجسد منتصبا ، متخشبا كأنه يريد البقاء بانتصابه حتى آخر قطرة))[٣٠] .

من خلال قراءة رواية " دَمُهُ "، وبما يخص علاقة الشخصيات بالأحداث ، نلحظ نمطين من هذه العلاقة التي تربط بين الحدث والشخصية الروائية . فهناك شخصيات خاضعة بنسب متفاوتة للحدث ، وهذا ما يطلق عليه بعض النقاد الغرب بـ " بالخيط الرابط" لأنها لا تظهر إلا لتقوم بدور داخل التتابع ألسببي للأحداث وهذا ما بُنِيَت عليه أساس الحدث المركزي في رواية " دَمُهُ " ، الذي جرى بين شخصية " الوالي " وشخصية " المعلم الفاضل " وتتابع الأحداث وصولا إلى مقتل الأخير، أما النمط الثاني هي الشخصيات التي تكون الأحداث خاضعة لها ، وهذا ما لاحظناه سرد الأحداث التي نشأت إلى جنب الحدث الأساس ، وتكون مهمتها خاصة بالسرد السيكولوجي وواجبها أبراز الخصائص النفسية للشخصيات ومنها شخصية " الوالي أيضاً[٣١].

وفي رواية " متاهةُ أخيرهم " نلحظ أن الشخصيات من خلال أدوارها التي تقوم بها وما ينعكس على تلك الأدوار من ممارساتٍ داخل النص الروائي ، وما يواكبها من صراع بين هذه الشخصيات تُنتَج مجموعة من الأحداث مترابطة بروابط سببية متتالية يحاول فيها السارد تصوير الأحداث من خلال الواقع الثقافي، والاجتماعي، والسياسي الذي كانت تعيشه مدينة بعقوبة في فترة زمنية محددة . وهذا التمثيل للواقع يحتاج إلى شخصيات تحمل تكافئ منطقي مع الأحداث ، ومن حيث أنها لا تؤمن بسطحية الفكرة والتي تسمح بتنسيق طبيعة كل

شخصية مع مجرى الحدث . والرواية هي من ضمن الأعمال الأدبية التي تسمح بتعدد الشخصيات ، و أنها تضمن استقلال كل شخصية عن الأخرى إلا أنها يجب أن تعمل في إطار سردي يخدم الهدف العام للرواية[٣٢].

إن الأحداث الثانوية في رواية " متاهةُ أخيرهم " تتميز بكثرتها وتشعبها وفي اغلب حالاتها جاءت داعمة للحدث الرئيسي في هذه الرواية ، إذ أن السارد قام بتقديم بعض الأحداث وتأخير بعضها الآخر ، حتى يأتي بنص روائي فيه السياق والتتابع بالأحداث موفيا لهدفه المقصود من هذه الرواية[٣٣]، ومن الأحداث الثانوية التي جاءت داعمة للحدث الأساس في الرواية هي قتل بعض الشخصيات اليهودية في مدينة بعقوبة بشكل منظم من قبل بعض عصابات السبل والنهب، بهدف خلق زعزعة الأمن الاجتماعي في هذه المدينة التي يتعايش أهلها بسلام لقرون مضت ، إذ يمكن القول أن هذه الأحداث جاءت تماشيا مع الجو العام في العراق والوطن العربي في زمن تهجير اليهود من قبل السلطات السياسية الحاكمة في ذلك الوقت .

بدأت هذه الأحداث بقتل " العم موشيه " ، إذ أُكتشِفت جريمة قتله ((عقب انتهاء عرض فيلم الكاوبوي الأمريكي " من اجل حفنة من الدولارات *" بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً ، مع نهاية يوم حافل بالمشقة والزحام . كان فيلماً ناجحاً وقد حقق امتلاءً في القاعة ، وعدّ من أكثر الأفلام جمهوراً ، لكن اليوم السعيد لم ينته كما بدأ))[٣٤]، وإن كان قتل " العم موشيه " بدافع السرقة إلا انه احدث ضجة قوية لوقع الحدث وخصوصيته ، فسرعان ما ((تحول الأمر إلى محنة حقيقة))[٣٥]، إذ إن ((وقع خبر موت " العم موشيه " كصاعقة نزلت من السماء وكادت أن تزلزل الأرض تحت أقدام كلّ العاملين في السينما ، إذ تبين فيما بعد أنها جريمة قتل من الدرجة الأولى مع سبق الإصرار والترصد حسب المصطلح القانوني))[٣٦]، بما أن شخصية " العم موشيه " مثلت العنصر الأهم في هذه المقاطع السردية المتتالية في الشكل الروائي ضمن رواية " متاهةُ أخيرهم "، نلحظ ترابط وتلازم في علاقة الحدث بهذه الشخصية خصوصا ، والشخصيات المشاركة معه عموما ، إذ انه أصبح محور أساس تدور حوله الأحدث ، سواء كان حدث مقتله أو ما ينشأ من أحداث التي تدور حول تلك القصة .

لم تُقيَد حادثة مقتل " العم موشيه " ضد مجهول لان الشرطة ألقت القبض على القاتل وهو في طريق هروبه إلى بغداد ، إذ اعترف القاتل " جبوري القرم قائلاً : ((فعلا دخلت من

الرازونة عازماً على أن اسرق المال ... ولما أردتُ العودة محملاً هجم عليّ بغضب ... فرميت الصندوق الصغير نحوه فأفلتُ من يديه وصرتُ خلفه ... فتعثر بشريط الفلم الممدود على الأرض ... ثم صرت فوقه ، جالسا على ظهره ، وقد لففت الشريط حول رقبته بكل قوتي حتى اختنق))[٣٧]، وفارق الحياة . وان كانت قصة مقتل " العم موشيه " هي قضية جنائية بحتة كان الدافع خلفها السرقة إلا أن توقيت هذه الحادثة مع ما تمّر به الطائفة اليهودية في مدينة بعقوبة خصوصا وفي العراق عموما ، خلقت حالة من الذعر بين صفوف المجتمع البعقوبي عامة ، لان بعد هذه الحالة توالت حالات عدة لقتل عدد من الأشخاص في المدينة ومنها قتل " حبيبة الخياطة " ومن بعد مقتلها بيوم قتلت السيدة " راحيل " وعائلتها جميعهم ، ((إذ وصلت الأمور ببعض الناس بتعرضهم للأذى المباشر سواء كانوا في الأسواق ، أو في الطرقات ، واخذ الخناق يزداد عليهم يوماً بعد يوم وصارت القصص يوماً بعد آخر يصعب تصديقها ، وصار على الفرد ، أن لا يمشي وحيداً))[٣٨]، إذ ألقت هذه الأحداث الرعب والخوف في نفوس الناس من القادم المجهول الذي لا يستطيع احد التنبؤ به ، فالأعداد بدأت بالتزايد ، و((المغدورون توالت أخبارهم ، وصارت تنشر ظلالها المرعبة في كل شيء ... كف مطبوعة بالدم وجدت على اغلب الأبواب ليلاً))[٣٩].

ركزت رواية " متاهةُ أخيرهم " على شخصية " مكابيوس / محمد " الشخصية المركزية في الرواية التي تدر حولها الأحداث وتتشابك فيما بينها بنسيج متكامل من الحوادث داخل النص الروائي ، إذ لم تقتصر الرواية على هذه الشخصية بل كانت منفتحة على شخصيات أخرى ، كان لها دورا بارزا في مجرى الأحداث أيضاً، ومن الملاحظ أن الرواية أولت عناية خاصة في التوازن ما بين الأحداث الخارجية والداخلية بالإضافة للاهتمام بأثر الحدث في وعي الشخصيات الروائية أو بعناصر السرد الأخرى وهذا ما يؤدي بزيادة منطق ترابط السببية بين أحداث الرواية سواء كانت هذه الأحداث رئيسية أم ثانوية [٤٠] .

إن شخصية " مكابيوس / محمد " هي الشخصية الجدلية التي عاشت متاهات عدّة وأشواط ليست بالبسيطة للبحث عن الذات ، وهذه الحركة ولدت أحداثاً متنوعة فـ " مكابيوس " عاش متاهتهُ المبكرة منذ أول يوم في ولادته، إذ ((بقي أسمه في الوثائق الدينية اليهودية " مكابيوس " كما بقي ذلك الطفل الذي لم اسمع عنه من احد " سرّاً من أسرار حياته "وقد انقطعت أخبار " يهوده " لأكثر من سنتين ... أبوه من قرر أن يكون اسم ابنه في الوثائق المدنية " محمد " ،

إعجاباً وتيمناً بشخصية غيرت مسيرة التاريخ ، ولحماية ابنه من الغدر الذي قد يلحقه بسبب دين أبيه))[٤١]، إن إخفاء " يهوده " هوية ابنه " مكابيوس " شكلت نقلة خطيرة في حياة الأخير ، وان كانت الأسباب التي جعلته يُخفي أمر ولده ، فيها شيء من المنطق لخوفه على خسارة هذا الطفل ، إذ كان يخاف من أن يلحقه أذى بسبب دينه من الأحداث التي جرت على اليهود في العراق ، وكذلك خوفه من مطالبة أهل " مسعودة " بحفيدهم بعد وفاتها ، ((بعد أن باتت بين العائلتين خصومة متوترة فيها شدّ ، وجذب ومنذ يوم الخطوبة التي لم تتم ، وخاصة بعد أن شهرت عداوة " والد يهوده " لوالد " مسعودة "))[٤٢].

نشأ " مكابيوس " في بيت " إبراهيم دندي " أبيه في الوثائق المدنية فقد سجله " يهوده " باسم صديقه " إبراهيم دندي " محل ثقته، والذي لم يكن له أطفال في ذلك الوقت فزوجته " طليلة " كانت غير قادرة على الإنجاب في تلك الفترة ، وبعد ولادة مسعودة لـ " مكابيوس " وافقت " طليلة" على تربيته لفترة محدودة بعد وفاة أمه التي ماتت أثناء الولادة ، إلا أن هذه الفترة طالت وصار عليها إخفاء هذا السر الذي لا يعلمه إلا أربعة أشخاص هم " يهوده ناجي ، وحسقيال ناجي ، وإبراهيم دندي و طليلة " إذ بات هذا السر حبيسا في صدور هؤلاء وأصبح " مكابيوس / محمد " ابنهم الذي يجب الحفاظ عليه تحت أي ظرف كان، وإخفاء إي معلومة عن اختفاء ابن " يهوده " ، وما أن نتقدم ذلك الطفل في العمر حتى أصبح في ريعان شبابه ، أخذته القراءة ، وحب الاستطلاع المعرفي والثقافي إلى التبحر في قراءة الكتب الأدبية ، ومنها الروايات العربية ،والعالمية خصوصا " البوليسية " وهذا ما اثر فيه كثير، إذ أصبحت إحدى أهم هواياته جمع المعلومات والتحري لمعرفة حقيقة " ابن يهوده " التي طالما سمع عنها أطرف حديث لم يكتمل فكلما بحث صدمته الحواجز التي وضعها " إبراهيم دندي ، وطليلة " أمامه للحيلولة دون أن يصل لشيء، عن قصة ابن " يهوده" ، فأصبح " مكابيوس/ محمد " يعمل كرجل شرطة في التحري عن القضية التي أُخفِيت عنه ، فيقول " مكابيوس ": ((نظمت دفتراً ، وبدأت تدوين الملاحظات الشفهية فيه ، ورحت أفهرسها حسب تاريخها بدءاً من عودة العم " حسقيال " متنكرا إلى " بعقوبة " ، وكل ما سمعته من حديث لفتتي .. دونت في كل صفحة أوصاف كل شخصية من معارفي ... وكل معلومة جديدة قد اسمعها عن الموضوع))[٤٣].

إن حدث إخفاء " مكابيوس " وان مرّ عليه عقد ونصف من الزمن تقريبا ، إلا انه ما زال يلقي بظلاله على حاضر ومستقبل " محمد" الباحث عن ذاته في " مكابيوس " دون أن يعلم بان من يبحث عنه ليس في دائرته القريبة من ناسه بل يمكننا وصف حاله بأن جزء من ذاته باحثة عن جزءها الآخر، ((كذلك دونت معظم المعلومات التي استقيتها من جدتي لأمي ، ومع جدتي لأبي إضافة إلى وصف الصور التي شاهدتها في جميع البومات العائلة ... صرت أريد أن افشي هذا الجبروت القاسي الذي عزلني به " أبي " عن معرفة حقيقة صديقه))[٤٤]، إذ أن شخصية "مكابيوس / محمد " عملت كمحرك أساس للعمل الروائي في رواية " متاهةُ أخيرهم " ، فهي نقطة المركز الذي تمحورت الأحداث حولها وكانت على علاقة وثيقة بتكوين اغلب الأحداث في هذه الرواية .

إن طبائع الشخصية في أي عمل روائي هي التي تقوم بتحديد نوع الحدث غالبا ، الذي يُنتجُ عن فعلها وهذا ما يجعل القارئ يفهم الشخصية وتقويم عملها والحكم عليها في كثير من الأحيان، من خلال حركتها داخل النص الروائي ، إذ من الضروري للشخصية أن تتميز بصفات خاصة تُتيح لها أن تظل حلقة الربط بين العناصر السردية ، إذ من غير الممكن إحلال شيء آخر في مكانها أو الإنابة عنها[٤٥].

إن شخصية " إبراهيم دندي " وضعت خطوط حمراء أمام ابنه "محمد " للخوض في حديث " يهوده " وابنه المفقود ، فلم يكن يسمح له بالتحدث عن هذا الموضوع بأي صورة كانت ، خوفا من أن يُفتضح السّر الذي حفظهُ لسنوات عدّة ، ورغبة منه بالحفاظ على ابنه " محمد " ، لكن هذه الحواجز التي وضعها " إبراهيم دندي " لم تعيق " محمد" الباحث عن " مكابيوس " ، حتى وان كانت خيوط معلوماته بسيطة جدا،((" العمة أمينة " التي لم تبخل عليّ بشحّة معلوماتها عن مدى العلاقة الواضحة بين " أبي و يهوده " ، ومرة ذكرت لي عن شخص صديق مقرب لهما اسمه " مير " ، وكانت تلك فاتحة جديدة كان عليّ أن اجمع عنها معلومات علها توصلني إلى " مكابيوس "))[٤٦].

إن علاقة الانسجام والترابط بين الشخصية الرئيسة والحدث يجعل النص الروائي يسيطر على اهتمام القار من خلال فهمه لجوهر الأحداث ومضامين الأفكار التي تُطرِح في أي عمل روائي ، وهذا الانسجام كفيل بأن تنهض فيه قيمة معظم الأعمال الروائية وما تحدثه من تأثير

فعال في عمل الشخصيات ومدى تجسيدها للمواقف والقضايا الإنسانية التي من الممكن أن تقرب الأحداث وما يجرى من الواقع الإنساني(٤٧).

يقول " محمد: " الباحث عن حقيقة ابن " يهوده" ((كانت تلك إحدى أول أزماتي الكبيرة، وتبين لي بأنها لم كن أصلا أزمة ، ولكن ظرفي وزماني ومكاني جعل منها أزمة .. فأصبحت لا أريد البحث عن " مكابيوس " ، وأين استقر به الحال ؟))(٤٨)، بل ((أصبحت على يقين بأنه موجود مع احد أفراد الحلقة القريبة مني))(٤٩).

من خلال تدوين " محمد " لبعض المعلومات في دفتره الخاص أصبح على يقين بقرب " مكابيوس " منه ، وما زاد يقينه في ذلك هو التعتيم المتعمد الذي مارسته دائرته الخاصة بهذا الخصوص ، فمن ضمن مدوناته في دفتره الذي قاطع بعض المعلومات اليسيرة التي حصل عليها من بعض الأشخاص الذين لا يملكون هم كذلك كل التفاصيل بشأن قضية الطفل المفقود.فان ((الذي يعرف القصة هو صاحبه ، ويعرف أدق تفاصيل حياته ، متلازمان ، متعاونان ، صديقان يُذكران وكأنهما شخص واحد))(٥٠)، فـ" إبراهيم دندي " كان اقرب الناس لـ " يهوده " فهل يعقل انه لا يعرف أهم حدث في حياة صديقه ، هذه أهم التساؤلات التي يطرحها " محمد " في نفسه ،فأن ((أية حكاية مقنعة ستكون أكثر تشويقاً ، كونها حكاية حقيقية ليست ملفقة، الحكاية قالت نفسها بكل جدية ، وحزم بان " يهوده " ، قد ترك ابنه الوحيد منذ اليوم الأول ، لولادته في عهدة احد المخلصين جدا .. تحت ظروف قاهرة جعلته يقبل بالحل الذي كان يظنه مؤقتاً))(٥١).

إن التماثل والتقارب والارتباط بين الشخصيات والحدث في رواية " متاهةُ أخيرهم " جوهري إلى حد كبير ، فمن الملاحظ أن أي تغيير يطرأ على موقف بحث " محمد" عن " مكابيوس " ينعكس على الشخصيات سواء التي كانت تبحث عن الحقيقة أو من تملك أسرار تلك القضية ،وتعمل على إخفاؤها بهدف الحفاظ على " محمد " ، كما أن أي التغيير الذي قد يحدث في المواقف والشخصيات سواء كان اجتماعي ، أو نفسي داخلي، أو خارجي ، بسبب معلوم أو غير معلوم ، يُنتَجُ في كليهما معا (٥٢).

لم يكن " محمد" الباحث الوحيد عن " مكابيوس " ، بل كان غيره يشاركه البحث عن ابن "مسعودة " ، دون أن يفصح احدهما للآخر عن نيته لان الموضوع يجب أن يبقى قيد الكتمان وفي سرية تامة حتى لا ينتبه من يملك المعلومات فيحاول إضاعة كافة الخيوط التي من

الممكن أن يسترشد بها من يبحث عن " مكابيوس " ، فـ ((عندما ظهر " عزرا " في الولاية ظهرت مخاوف حقيقة أخرى))[٥٣] ، فإن " عزرا " لم يأتي ضيفا لمدينة " بعقوبة " ، بل جاء لكشف خيوط قضية الطفل التي أُخفِيت عمدا عن أهل " مسعودة " فأتخذ اسم " عباس زرزور" حتى لا يُكتشف أمرهُ ، والفرق بين " محمد" ، و " عزرا " أن الأخير فارق الحياة ولم يصل لنتيجة تدله على " مكابيوس " ، أما " محمد " فقد وجده من خلال تتبعه للأحداث التي جرت ، ومن خلال جمعه للمعلومات عن " مكابيوس " ومقاطعتها مع بعضها ليستنتج في نهاية الأمر انه كان في رحلة للبحث عن الذات دامت لأكثر من عقدين من الزمن عاش فيها متاهات عدة لعله يسترشد لطريقه الصحيح .

يقول " مكابيوس / محمد " ((الحقيقة التي وصلت إليها متأخراً ، ولكن بعد خسارات باهظة .. العمر الذي وقف عندك لم يبق فيه ما يسر ... حتى الدمعة لم تعد تنزل مِدرارَة كما كانت في الطفولة))[٥٤]، إن خطاب الكراهية والعنصرية التي وقعت في العراق والوطن العربي خلفت ضحايا من ضمنهم " مكابيوس " الذي فرقه الزمن بينه وبين عائلته لعدة أسباب جاءت ضمن حوادث مترابطة برابط السببية حدثا يتبع الآخر ضمن علاقة تكاملية في داخل النص السردي ، نُسجت بعناية بالغة في تصويرها للواقع " البعقوبي " .

بعد إن قرر" مكابيوس/ محمد " ترك " العراق " من غير رجعة ذاهبا للقاء عائلته والعيش معهم فقد ترك رسالة لأخيه " خليل إبراهيم دندي " يخبره فيها بسفره ،((تحية طيبة وبعد : بعد السلام على " أبي " و " أمي " الغاليين .. قبلاتي لهما ولك أيها الشقيّ ، وبعد الأشواق الكبيرة إليهما واليك والى البيت الذي نشأت فيه ، والذي طالما اشتقت إلى ذلك الزمان وذلك المكان ، إلى غرفتي التي كنت تدخلها تعبث بآلتي الكاتبة))[٥٥] ، وشرح من خلال رسالته لأخيه " خليل" كيفية هروبه من العراق إثناء الحرب العراقية الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي ،((بعد إن أخذت " المفتاح النحاسي " الذي سلمه لي " أبي "، والذي تسلمه من عمي " حسقيال " كعلامة تعريف لا تقبل التغير ، أعددت العدة بمساعدة احد أبناء محلتنا " هيثم " الذي كنا نلقبه بالوسخ، فهو من قدم لي تسهيلات كبيرة مقابل المال))[٥٦].

إن طريقة مغادرته للعراق كانت هي الأخرى متاهة لا يعرف ما الذي ينتظره ، فيروي ما قام به " هيثم " في مساعدته ،((حيث تمكن من التغطية عليّ حتى عبرت ارض الحرام ، وأعطاني خريطة حتى وصلت الضفة الثانية ، وسجنت هناك عدة شهور ... ثم استطعت

المغادرة إلى أفغانستان ، ومنها إلى روسيا سراً ، ونفذت بجلدي ، متوجها حيث يقيم والدي " يهوده " ..وأعلمك بأن أخباركم كانت تصلنا أولاً بأول))[٥٧]، إن رواية " متاهةُ أخيرهم " ركزت وبتميز على مستوى الأحداث في النص الروائي من خلال نوع تلك الأحداث ودلالاتها فيه، ومن خلال ترابط عناصر السرد بعضها بالبعض الآخر ، وهذا ما أضاف للمقاطع السردية تماسك قوي في سبك الأحداث وإظهارها كأحداث أشبه بالواقعية لدى القارئ وخصوصا إذا كان هذا القارئ من سكان مدينة بعقوبة وعاش في تلك الفترة الحرجة التي مرّت على المجتمع العراقي، إذ جاءت حبكة الأحداث متسلسلة في تدريجها من بداية الرواية مع الالتزام بعلاقة الأحداث بعضها بالبعض الآخر لأجل ترسيخ صورة المشاهد الروائية في ذهن القارئ ، وكذلك جاءت الشخصيات ممثلة في حركتها المنظمة التي تتغير وفق تنظيم عالي الدقة عبر زمن الرواية [٥٨] .

تناولنا حدثا ثانويا من أحداث رواية " متاهةُ أخيرهم " ، وهو حادثة مقتل " العم موشيه " فضلاً عن الحدث الأساس الذي بُنيت على أساسه أحداث الرواية بكل تفرعاته ، فالروائي أولى اهتماما بجميع عناصر السرد ولم يهمل عنصرا على حساب الآخر بداً من الشخصيات وحركتها وتنظيم هذه الحركة وفق زمكان محدد تجري فيه حركة الشخصيات في أنتاجها للأحداث .

أما في رواية " ليلى والحاج " ، سنركز على الحدث الأساس فيها ، وتبيين علاقة الشخصيات بالحدث ،لان اغلب الأحداث الثانوية نشأت من اجل دعم وتقوية الحدث الأساس الذي قوم على تبيين واقع اجتماعي يحيل بدلالته على ممارسات تسلط السلطة الحاكمة على رقاب الناس في مجتمع ما .

ترتبط أحداث الرواية في هيمنة " المجبل " وتقوية مكانته السلطوية يوما بعد الآخر ضمن أحداث متسلسلة متتابعة ، إذ تقول " ليلى " : ((عرفت فيما بعد بان مهنة " أبي " الرئيسة هي السحر ، ولم تكن مهنة الطب .. حيث كنت اسمع والدتي ترفض مضيّه في غير الطب الذي تعلمه منها ، وكانت تقول له بكل هدوء أن لا يقبل على نفسه ذلك الخداع))[٥٩] ، إن أول تغيير يطرأ على شخصية " المجبل " ينعكس على نوع الحدث الذي ينتج عن فعله ، فامتهانه للطب كان مصدر اعتزاز زوجته " رضية المنيف " التي علمته هذا العمل النبيل ، وما أن تعلم "المجبل" كل قواعد طب الأعشاب من زوجته التي ورثته عن أهلها حتى صار

يفكر في بناء مملكته الخاصة على حساب فقراء الناس ممن يملكون مشاكل صحية عن طريق الخداع والسحر مبتعدا عن المهنة النبيلة التي تعلمها من زوجته.

إن سرد أحداث هذه الرواية يتعامل مع جوهر الأحداث ، والتقلبات التي طرأت على شخصية " المجبل " بما تحمل من ممارسات تؤذي المجتمع ، فسرد الأحداث بهذه الطريقة تبين معجزات السرد، اللازمنية في تجربة " المجبل " من خلال تأطير هذه التجربة بإطار زماني ومكاني محددين ، لان الرواية بُنِيت على منظورين أساسيين هما منظور الحدث من يحث مكوناته " كأفعال ،أو الأغراض ،أو المواقف " وكيفية أدارة هذا الحدث . أما المنظور الثاني هو منظور الوعي الذي يتميز به الشخصيات القائمة على أنتاج الأحداث [٦٠]، فـ " المجبل " كان ((يتمادى على مهنته ، ويوغل في إهدار حقها كمهنة نبيلة خالصة ، تخلص الناس من الآلام ، بدلا من إدخالهم في الأوهام التي تضعيهم .. كانت تعرف انه كلما تورط ، وبدأ باستغلال ذلك الاشتهار معتمداً بتشويه سمعة أهلها ، الادعاء بمعرفته للسحر، يهينها كزوجة من ديانة أخرى علمته الطب))[٦١] ، إن " رضية منيف " على وعي تمام بالمخاطر التي تواجه زوجها من جراء أفعاله المشينة بحق نفسه ،والناس ،وبحقها كزوجة ، ففعله هذا يجعل ((الناس يعتقدون أنها هي من علمته فنون السحر الكاذب ..كأنما يصير ذلك غطاءً مشروعا لما ينوي المضي فيه))[٦٢]. بالإضافة إلا أن فعله مخجل لها كزوجة ((لحقت به من دين آخر . يكون ذلك الفعل تهمة على دينها ولا تريد أن يكون زوجها علامة اتهام على دين أهلها بأنه دين السحر، بين بقية الأديان الأخرى))[٦٣] ، هذه أهم الأسباب جعلت " رضية منيف " في صراع دائم مع " المجبل " ، إلا انه لم يتوقف عن أفعاله التي خرجت عن جادة الصواب ولم يعر أي أهمية لمنشدة زوجته بالعدول عن أفكاره المنحرفة ،لان ((السحر ، من صفة الشيطان ، حسب مفهوم دين أهلها الذي كانت عليه ، لذلك تنفيه وتستهجنه الأديان على الإطلاق))[٦٤]، بالرغم من ذلك فـ" رضية منيف " ((كانت تتمنى أن تفتخر به أمام أهلها ، وتثبت لهم أنها ربحت من يحبها ، وان الحب الحقيقي لا تعترضه المعتقد ، ولا تفصل بينه المفاهيم القابلة للتغيير ، حيث يبقى الإنسان إنساناً محباً ، لكل إنسان يحبه ، ويبقى الإنسان بما يكتسب من معرفة تنيره ، وتجرده من قيود لا مكان لها مع الإنسانية))[٦٥].

إن الحدث الأساس في رواية " ليلى والحاج " بدأ من التحول الذي طرا على أفعال " المجبل " باتخاذه السحر بوصفه وسيلة لجمع المال والنفوذ . وهو يعرف جيدا أن فعل السحر لا يقوم

به إلا مشعوذ قادر على إيهام البسطاء من الناس، فكان تصديق ((الناس له في قرارة نفسه يجعله متحررا من كل ذلك الخوف ومتحررا من ذلك المجهول الذي يقوده . كساحر قدير عليه أن يكون في قرارة نفسه أول المصدقين لذلك الخيال))[٦٦] ، فمن خلال هذه الأحداث ومجرياتها اضطرت شخصية " المجبل " إلى الإعلان عن طبائعها في أول منعطف واجهها ، إذ انجرفت في مجرى غير الذي كانت تسير عليه وهذا التغيير أسهم في حبكة الأحداث وترابطها [٦٧]، إذ إن شخصية "المجبل " جاءت منسجمة مع علاقتها بالحدث الأساس ، وبنيت علاقتها مع الشخصيات الأخرى المشاركة في هذا العمل على وفق التحرك نحوه ، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك ، إذ جعلت كل الأحداث الثانوية تحت مظلة الحدث الأساس ، داعمة له ، و ذائبة فيه [٦٨] .

جاءت شخصية " المجبل " كشخصية رئيسة في هذا العمل الروائي ، وسُخِرت كل الأحداث والشخصيات الأخرى من اجل إظهار دورها وإضاءتها خارجياً ، وداخلياً أفعالاً وأقوالاً ، فهذه الشخصية تكاد تُهيمن على اغلب الأحداث ، فـ " المجبل " يمثل بؤرة هذه الرواية ، وان وظيفة الشخصيات المشاركة الأخرى في هذا العمل جاءت من اجل إبراز التحولات النفسية والذهنية في شخصية "المجبل"[٦٩]، فهو ((قد نشأ وحيد أبويه ، وخلّف عقدة نقص في قرارة نفسه انه من دون إخوة يساندونه ، يشعر دائما بالضعف من دون مساندة احد ، وخاصة خارج بيته ، حيث تنامت عقدة النقص لديه ، وجاهد لتحولها إلى قوة داخلية ، جعلته يخطط لأحلامه كمن يرسمها بدقة القابض عليها))[٧٠].

استمر " المجبل " في توسعة دائرة نفوذه من حيث المال والسلطة ، ولم يكن ((إلا واحدا من اللاعبين الرئيسيين في بناء تلك النقطة التي يمكنه بها ، بناء مجده الإنساني على حساب الإنسان الآخر الذي يجهل اللعبة التي تصير إلى استعباده ، وقياده حيث تريد))[٧١] ، إذ أصبح رقما في معادلة النفوذ السلطوي ضمن شبكة كبيرة تُدار من أمثاله تعتاش على بسطاء المجتمع الذين يؤمنون بإعمال السحر، والشعوذة ، وبات ((يحتاج إلى غطاء مانع يحيط به ، ويحرسه ، وعادة ما يكون الصادقون في إيمانهم ، هم الذين ينفذون له مطالبه ، فهم أصحاب الاماني المُحققة ، أصحاب الولاء الأكثر ، المضحون بالغالي والنفيس من اجل أيقونتهم الكبرى . بذلك قسموا الناس المتحلقة حول الـ " المجبل إلى مجموعات))[٧٢]، وتستمر شخصية " المجبل " في تحريك الأحداث إلى أن ضعف كيانه بمحاولات انقلاب عدة واحدة

تلوه الأخرى إلا أن استطاع مرافقه الوفي " شدري " الانقلاب عليه وسيطرته على عرش مملكة " المجبل ". إذ تعمد (("شدري " بدراية العارف ؛ إن يبقي صورة " المجبل " تزين على الجدران ، وتماثيله في الساحات كذلك بقي إمضاءه يجيز به ويسيّر به ما يريد . وكان يقابل كل زائر بنفسه كل زائر رفيع ولم يكن احد يجرؤ على سؤاله أين " المجبل "))[٧٣]، إن للشخصية الروائية علاقة وثيقة ببناء الحدث وهذا البناء يختلف باختلاف الشخصيات داخل النص الروائي ويختلف كذلك باختلاف الفضاء الروائي من عمل روائي لآخر .

أما رواية " مُنتأى " نجدها زاخرة بالأحداث الثانوية التي تدعم الحدث الأساس لذا سوف نركز عليه ، إلا وهو الهجرة غير الشرعية عبر البحر من تركيا إلى اليونان، ومنها إلى أوربا ، وهذه الرواية تختلف عن سابقاتها لان حدثها الأساس نتاج مجموعة من الأشخاص تقاسموا دور البطولة فيما بينهم ، وذلك لان هدفهم واحد وتحركهم كان في نفس الاتجاه مما جعلهم يشتركون في نفس الفكرة الأساس و إنتاج الحدث الناتج عن حركتهم في الإطار الزمكاني ،((بقينا خمسة أشخاص تعارفنا مصادفة في الباص المنطلق من مدينة " اسطنبول " إلى مدينة " بودرم " وصادف أيضاً أن كنا في فندق واحد . وقررنا أن نكون معاً إلى ما يشاء الله))[٧٤]، فكل شخصية من هؤلاء ساهمت بجزء من إنتاج الحدث وترتبط به بعلاقة وثيقة جدا ، وهذه الشخصيات هم " العم ، ومناف، و أحمد ، وعادل ، و مهند "[٧٥]، فكل منهم له قصة ثانوية تنشأ ضمن إطار الرواية العام ، وبالطبع أن كل قصة ثانوية تنتج عنها أحداثا ثانوية أيضاً ، وما يهمنا هنا هو الأحدث الرئيس الذي يشترك فيه جميع هؤلاء الشخصيات بالإضافة إلى شخصيات ثانوية أسهمت معهم جنبا إلى جنب في إنضاج الفكرة الأساس ، ((بلغ عددنا ثلاثة وعشرين شخصاً مع ذلك الشاب السوري ، حيث جُبلنا على أن نتقاسم الاضطراب والقلق والخوف ، وننزع من بين أسنان الظلام أملنا بالوصول إلى ... ذلك الفنار الساحلي التابع لليونانيين ، كأننا صرنا نتحدى موتاً لم يهمنا سوى الانعتاق من قيد يكاد يخنقنا ذلّاً))[٧٦]، يعد هذا الحدث الأهم بالنسبة لهم ،لأنهم اخذوا بتنفيذ أول خطوة من خطتهم المرسومة للخلاص من أوضاعهم الراهنة التي جعلتهم يتركون بلدانهم ، فحسب تخطيطهم كانت وجهتهم الأولى بعد تركيا هي اليونان ، إلا أن خطوتهم الأولى للهروب فشلت بعد مهاجمتهم من قبل بعض العصابات التي تمتهن السرقة ، إذ ((تمكنوا من بعض ضحاياهم وسرقوا منهم ما استطاعوا إليه سبيلا ، ثم انطلقوا بزورقهم هاربين به إلى الجزيرة))[٧٧] .

لم يتوقفوا عند تلك المحاولة الفاشلة ، بل أعادوا التجربة من جديد مع " مهرب آخر" إذ يصف الراوي رحلتهم بقوله : ((كنا نريد أن نعبر تلك الموجة المتصاعدة التي تهزّ المركب هزّاً ، ولم نفكر في الموت الذي يسكن في أعماق البحر ، كما كنا نفكر بخلاصنا من تلك اللحظات التي نريدها أن تبعدنا عن تلك السواحل المهيبة))[٧٨] ، يستمر الرواة بسرد الأحداث المترابطة للرواية فكل راوي يروي قصته حسب منظوره الخاص ورؤيته للأحداث من بداية الرواية إلى نهايتها ، فأن تنوع الأحداث الفردية للشخصيات الرئيسة التي أسهمت بشكل كبير في رفد الحدث الأساس بزخم معلوماتي يمتاز بقوته ووفرته ، مما أعطى للرواية انسجاما بين الشخصيات التي كانت تروي قصتها من جهة وعلاقة هذه الشخصيات بالحدث الأساس من جهة أخرى .

إن للشخصية الروائية أهمية كبيرة ، في أي عمل روائي ، فهي المرتكز الذي تستند عليه تفاصيل العناصر السردية الأخرى، والعنصر صاحب الحركة داخل النص الروائي ،الذي ينمو بنمو الأحداث [٧٩] ، فارتباط الشخصية بالحدث ارتباط العلة بالمعلول، فالرواية هي فعل " حدث " يقوم به فاعل هي " الشخصية " ، في بيئة زمانية ومكانية ، لهذا فان الشخصية هي من تشكل الحدث من خلال حركتها ، وأفعالها لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة تحاول الاقتراب من تمثيل الواقع[٨٠]، إذ ((ينمو الحدث بعد لحظة البدء من نقطة إلى أخرى نموا فنيا ، له منطق مقصود لتتطور الحكاية – باطراد– إلى ما هو أعمق . وحين ينتقل الحدث من نقطة إلى أخرى لا ينبغي أن تكون" الصدفة القدرية " هي التي تحرك الحدث والشخصية حركة عشوائية))[٨١] ، بل ((يجب أن تكون الصدفة صدفة " فلسفية " مقصودة ، تدل على أن الشخصية تعي حقيقة ما تفعل ..وتدرك دلالة ما تقول))[٨٢].

من خلال ما تقدم يمكننا القول بأن النص الروائي لا يكون مكتملا أن لم تكن عناصر السرد فيه مسبوكة بشكل جيد ، تربط ببعضها من خلال علاقات متكاملة ، تنعكس هذه على نسج النص الروائي وإظهاره للقارئ ككتلة واحدة مع احتفاظ عناصر السرد بخصوصيتها داخل النص الروائي.

الخاتمة

ترتبط الشخصية الروائية بالحدث ببناء عضوي ترابطي ، إذ لا يمكن تصور عمل سردي يخلو من هذا الترابط ، بل توجد علاقة تواشجية تربط عناصر السرد مع بعضها مثل الحدث

والزمان والمكان ولأن الحدث يمثل ركيزة مهمة في أي عمل روائي لما له اثر واضح في بناء الشخصية ، إذ لهذه العناصر دورا وظيفياً واضحاً ، وشغل حيزا كبير في اغلب رواياته ، إذ اتخذ معاني ودلالات متنوعة تتغير من رواية إلى أخرى ، فكان للحدث دور مهم في رسم ملامح بعض الشخصيات .

The Character and its Relationship to Formulating the Event in the Novels of Mohammed Al-Ahmad

Hassan Daham Aziz
Assist.Prof. Jassim Mohammed Hussein

Keywords: fictional character - formulating of Event - Character and its relationship to formulating of Event

University of Diyala / College of Education for Humanities
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Abstract

The novel or fictional character does not appear in the narrative text alone, or in isolation from other narrative elements. Rather, it forms a close connection and cohesion with it. We cannot find the narrative text limited to the characters unless the rest of the narrative elements have a role in completing the narrative text in all its aspects. It is considered a technical defect that affects the fictional text if one of its basic elements is absent in the event that its existence is mandatory in the text. Any novel is a narration of a context of incidents that includes all narrative elements such as characters, temporal and spatial setting, theme, language and other elements that constitute the narrative text that describes the action or the context of events and facts experienced by the characters.

الهوامش

(١) ينظر: بنية الشخصية والحدث الروائي ، شرحبيل إبراهيم المحاسنة ، المجلة العربية ، العدد :٥٣٩، ٢٣/ ١ / ٢٠١٢.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ينظر: بنية الشخصية والحدث الروائي ، شرحبيل إبراهيم المحاسنة ، المجلة العربية ، العدد :٥٣٩، ٢٣/ ١ / ٢٠١٢.

(٤) ينظر: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد): ٢٣٤- ٢٣٥.

(٥) ينظر: مورفولوجيا القصة:٣٥.

(٦) حركة الحيطان المتراصة (رواية)، محمد الأحمد : ٣٨.

[٧] المصدر نفسه : ٣٩.

[٨] المصدر نفسه : ٣٩.

[٩] ينظر: بناء الرواية : ١٥ –١٦.

[١٠] ينظر: بناء الرواية : ١٥.

[١١] ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق (بناء السرد) : ١٣.

[١٢] حركة الحيطان المتراصة (رواية) :٤١.

[١٣] ينظر: بناء الرواية :٢٧.

[١٤] ينظر: بناء الرواية: ١٨–١٩ . وينظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) : ٢٠٨.

[١٥] ينظر: بنية الشخصية الروائية في رواية " التبر " لإبراهيم الكوني" ، هديل بت عباس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات / جامعة محمد بوضياف ، ٢٠١٥: ٢٥.

[١٦] دَمُهُ (رواية) ، محمد الأحمد : ٦٠.

[١٧] المصدر نفسه : ١٥.

[١٨] المصدر نفسه : ١٦.

[١٩] دَمُهُ (رواية) ٦٠.

[٢٠] ينظر: بداية النص الروائي (مقاربة لآليات تشكل الدلالة) : ٢٥٧.

[٢١] دَمُهُ (رواية): ٦١.

[٢٢] دَمُهُ (رواية): ١٥.

[٢٣] ينظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية): ٢١١.

[٢٤] دَمُهُ (رواية):١٠٩ .

[٢٥] دَمُهُ (رواية):١١٠ .

[٢٦] ينظر: بداية النص الروائي (مقاربة لآليات تشكل الدلالة): ٢٥٦.

[٢٧] دَمُهُ (رواية): ١١٠– ١١١.

[٢٨] المصدر نفسه : ١١١.

[٢٩] دَمُهُ (رواية) :١١١.

[٣٠] المصدر نفسه : ١١٢.

[٣١] ينظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية): ٢١٦.

[٣٢] ينظر: النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال :٥٦٩.

[٣٣] ينظر: القصة القصيرة عند عبد الإله عبد القادر ، سليمان سالم الفرعين ، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية ، فاس – المغرب ، ط١، ٢٠٠٥: ١٢٨.

* من اجل حفنة من الدولارات : هو فلم أمريكي صدر سنة ١٩٦٤، بطولة النجم العالمي " كلينت ايستوود " وإخراج " سرجيو ليون " :المصدر : ينظر: رواية متاهة أخيرهم : ٤٤ ، وينظر: موقع ويكيبيديا الالكتروني.

(٣٤) متاهُة أخيرهم (رواية) ، محمد الأحمد : ٤٤.

(٣٥) المصدر نفسه : ٤٦.

(٣٦) المصدر نفسه : ٥٤.

(٣٧) المصدر نفسه :٥٦ –٥٧.

(٣٨) متاهُة أخيرهم (رواية):٢٤.

(٣٩) المصدر نفسه : ٢٧.

(٤٠) ينظر: بداية النص الروائي (مقاربة لآليات تشكل الدلالة): ٢٦٠.

(٤١) متاهُة أخيرهم (رواية):١٣٠.

(٤٢) المصدر نفسه : ١٣٠.

(٤٣) متاهُة أخيرهم (رواية):١٣٦.

(٤٤) المصدر نفسه :١٣٧.

(٤٥) ينظر: نحو رواية جديدة ، آلان روب ، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى ، دار المعارف بمصر – القاهرة :٣٥.

(٤٦) متاهُة أخيرهم (رواية) ، محمد الأحمد :١٣٦.

(٤٧) ينظر: قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير) ، روجر ب . هينكل ، تر : صلاح رزق ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط٢، ١٩٩٩: ١٨٧.

(٤٨) متاهُة أخيرهم (رواية):١٣٧–١٣٨.

(٤٩) المصدر نفسه : ١٣٨.

(٥٠) المصدر نفسه : ١٣٩.

(٥١) المصدر نفسه : ١٣٩.

(٥٢) ينظر: بناء الرواية ، ادوين موير:٤١– ٤٢.

(٥٣) متاهُة أخيرهم (رواية) :٣١٨.

(٥٤) متاهُة أخيرهم (رواية):٣٤٥

(٥٥) المصدر نفسه : ٣٤٥.

(٥٦) المصدر نفسه :٣٤٦.

(٥٧) متاهُة أخيرهم (رواية) :٣٤٦.

[٥٨] ينظر: بناء الرواية ، ادوين موير: ٥٤.

[٥٩] ليلى والحاج (رواية): ١٥.

[٦٠] ينظر: علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد) ، يان مانفريد ، تر : أماني أبو رحمة ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية – دمشق ،ط١ ، ٢٠١١م : ١٠٣.

[٦١] ليلى والحاج (رواية) : ١٥.

[٦٢] ليلى والحاج (رواية) : ١٥.

[٦٣] المصدر نفسه : ١٥.

[٦٤] المصدر نفسه : ١٦.

[٦٥] المصدر نفسه :١٦-١٧.

[٦٦] المصدر نفسه :٢١.

[٦٧] ينظر: أركان الرواية : ٧٢.

[٦٨] ينظر: بناء الرواية :٥٧.

[٦٩] ينظر: التحولات النفسية والذهنية في الشخصية الروائية: ١١٢.

[٧٠] ليلى والحاج (رواية): ٤٥.

[٧١] المصدر نفسه : ٦٣.

[٧٢] ليلى والحاج (رواية) :٦٤.

[٧٣] المصدر نفسه : ٧٦.

[٧٤] مُنتأى (رواية) :١٠.

[٧٥] ينظر: مُنتأى (رواية) :١٠.

[٧٦] المصدر نفسه :١٤.

[٧٧] المصدر نفسه : ١٥.

[٧٨] المصدر نفسه :٣١.

[٧٩] ينظر: دراسات في نقد الرواية ، طه وادي ، دار المعارف، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٩٩٤ : ٢٦.

[٨٠] ينظر: المصدر نفسه :٢٨.

[٨١] المصدر نفسه:٣٠.

[٨٢]المصدر نفسه:٣٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الروايات

- حركة الحيطان المتراصة، محمد الأحمد بدون، ط :١٩٩٨.
- دَمُهُ ، محمد الأحمد ، فضاءات للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ :٢٠١٨.
- ليلى والحاج ، محمد الأحمد ، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ط١: ٢٠١٩.
- متاهة أخيرهم ، محمد الأحمد ، دار الورشة للنشر والتوزيع ، ط٢: ٢٠١٩.
- مُنتَأَى ، محمد الأحمد ، دار الورشة الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ط١ : ٢٠٢٠

الكتب العربية:

- البناء الفني في الرواية العربية في العراق (بناء السرد) ، د. شجاع مسلم العاني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،١٩٩٤.
- القصة القصيرة عند عبد الإله عبد القادر ، سليمان سالم الفرعين ، منشورات المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية ، فاس – المغرب ، ط١، ٢٠٠٥.
- النقد الأدبي الحديث ، الدكتور محمد غنيمي هلال ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، أكتوبر١٩٩٧.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ،ط٢ ، ٢٠٠٩.
- دراسات في نقد الرواية ، طه وادي ، دار المعارف، القاهرة – مصر ، ط٣ ، ١٩٩٤.
- في نظرية الرواية ، عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،١٩٩٨.

الكتب المترجمة :

- أركان الرواية، ا.م . فور ستر، تر: موسى عاصي ،جروس برس ، طرابلس – لبنان ، ط١، ١٩٩٤.

- بناء الرواية، ادوين موير ، تر : إبراهيم الصيرفي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- علم السرد (مدخل إلى نظرية السرد) ، يان مانفريد ، تر : أماني أبو رحمة ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية – دمشق ،ط١ ، ٢٠١١م.
- قراءة الرواية (مدخل إلى تقنيات التفسير) ، روجر ب . هينكل ، تر : صلاح رزق ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط٢، ١٩٩٩.
- مورفولوجيا القصة ، فلاديمير بروب ، تر: عبد الكريم حسن وسيمرة بن عمو.
- نحو رواية جديدة ، آلان روب ، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى ، دار المعارف بمصر – القاهرة.

الرسائل والأطاريح:

- بنية الشخصية الروائية في رواية " التبر " لإبراهيم الكوني" ، هديل بت عباس ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات / جامعة محمد بوضياف ، ٢٠١٥.

الدوريات:

- بنية الشخصية والحدث الروائي ، شرحبيل إبراهيم المحاسنة ، المجلة العربية ، العدد :٥٣٩، ٢٣/ ١ / ٢٠١٢.
- التحولات النفسية والذهنية في الشخصية الروائية، د. خليل موسى ،مجلة الدراسات والبحوث ، دمشق .